الجملة الفعليّة عند سيبويه بين الوضع و الاستعمال و أثر ذلك في تحقيق الملكة التّبليغيّة

The verb phrase between the position and the use and its impact on communicative competence for Sibawih

ط .د / ياحي هشام

قسم اللّغة والأدب العربي - جامعة يحي فارس - المدية (الجزائر)

مخبر الدّراسات المصطلحيّة والمعجميّة ،جامعة المدية .

yahi.hicham@univ-medea.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/09 تاريخ القبول: 2021/04/07 تاريخ النشر: 2021/09/15

- **ملخص :**
- حلّل سيبويه الجملة الفعليّة من زاويتين مختلفتين من جهة و متكاملتين من جهة أخرى:زاوية بنويّة لفظيّة تحدّث فيها عن القوانين الوضعيّة المجرّدة الّتي تحكم الجملة الفعليّة،وزاوية خطابيّة تبليغيّة تحدّث فيها عن الفائدة،وعن الوجوه المختلفة للتّركيب الواحد في واقع الاستعمال،والقصد الّذي يحمله كل وجه من تلك الوجوه في سياق محدّد، ولاشكّ أنّ التّحليل الأوّل يعمل على تحقيق الملكة اللّغويّة بينما يحقّق التّحليل الخطابي التّبليغي الملكة التّبليغيّة.
- **الكلمات المفتاحية:** جملة،جملةفعليّة،وضع،استعمال،سيبويه،سياق،ملكة تّبليغيّة .

:Abstract

Sibawih analyzed the verb phrase from two angles,different in one side and complementary in another.A structural and verbal angle;where he spoke about the abstract dispositive laws that controls the verb phrase,and a communicative rhetorical angle in which he spoke about interest and the different faces of the one comlex in the reality of use, and also the aim carried by each face in a specific context.There's no doubt that the first analysis works to fulfill the linguistic competence while the rhetorical communicative analysis fulfills the communicative competence.

key words: phrase,verb phrase,position,use,Sibawih, context, communicative competence.

مقدمة :

يُعدّ كتاب سيبويه أقدم كتاب وصل إلينا،وهو كتاب ذو قيمة علميّة كبيرة،وذو أهمّية بالغة لذلك لقي اهتماما واسعاً من قبل النّحاة والدّارسين قديما وحديثا،حيث عكفوا على قراءته وشرحه والتّعليق عليه...إلخ،والمتتبّع للدراسات الّتي أُقيمت حوله يلاحظ تبايناً واضحاً في الأحكام الّتي أطلقها أولئك الباحثون على كتاب سيبويه خاصة في عصرنا الحالي،فهناك من الباحثين من يرى أنّ النّحو عند سيبويه نحو بنوي لفظي يركّز على القوانيين الوضعيّة الّتي تُحقّق الملكة اللّغويّة ويهدف إلى الوصول إلى بنية العناصر اللّغويّة داخل الجملة والعلاقات القائمة بينها ولا ينزل بتحليله إلى الاستعمال الحقيقي للّغة،ولا يربط بين النحو والمعنى، وهناك من له رأي مغاير حيث يرى أنّ سيبويه لا يقتصر على التّحليل اللّغوي الدّاخلي فقط وإنّما يتجاوز إلى ما هو خارج اللّغة كالسياق وحال المتكلّم وحال المخاطب وغير ذلك،أي يحلّلها من ناحية الاستعمال كذلك ومنه فهذا الفريق يرى أنّ نحو سيبويه نحو دلالي يربط فيه صاحبه بين النّحو ومقاصد الكلام النّاتجة عن استعمال الجملة في مقامات وسياقات مختلفة،ومنه فهو نحو يحقّق الملكة التّبليغيّة.

إنّ هذين الرّأيين المتباينين حول التّحليل اللّساني عند سيبويه دفعانا إلى البحث في هذا الموضوع بغية الوصول إلى الرّأي الأرجح،ولأنّه لا يمكننا – في هذه الدّراسة – أن نتناول الجملة في النّحو العربي بصورة عامة فقد حدّدنا لها مجالا ألا وهو " الجملة الفعليّة " باعتبارها الأصل في التّركيب العربي لأنّ العربي عادة ما يهتم بالحدث وقلّما يهتم بصاحب الحدث.

ومن هنا فإنّ الإشكاليّة الّتي عالجها بحثنا هذا هي :هل كان سيبويه في تحليله للجملة الفعليّة يكتفي بالتّحليل اللّغوي الدّاخلي المتمثّل في قوانين الوضع الّتي تحقّق الملكة اللّغويّة،أم كان يتجاوزه إلى التّحليل اللّغوي الخارجي المتمثّل في قوانيين الاستعمال الّتي تُحقّق الملكة التّبليغيّة ؟.

وللإلمام بجوانب البحث اعتمدنا المنهج الاستقرائي بغية استقراء المسائل النّحويّة الخاصة بالجملة الفعليّة في كتاب سيبويه.

1-مفهوم الجملة لغة :

جاء في لسان العرب :" ...والجُملة واحدة الجُمل،والجُملة جماعة الشيء،وأَجْمَلَ الشيء جَمَعَه عن تفرقةٍ،وأجْمل له الحساب كذلك،والجُملة جماعة كُلَّ شيء بكماله من الحِساب وغيره،يُقال:أجملتُ له الحِساب والكلام،قال تعالى:﴿ لولا أُنْزِلَ عَلَيْهِ القُرْآن جُمْلَةً واحِدة ﴾

[الفرقان :32]،وقد أجملتُ الحِساب إذا رَدَدْتُه إلى الجملة،وفي حديث القَدَر،كتابٌ فيه أسماء أَهل الجَنَّة والنَّار،أَجْمَلَ على آخِرِهِم،فلا يُزاد فيهم ولا يُنقَصُ،وأَجْملتُ الحِسابَ إذا جَمَعْتُ آحادَهُ وكمَّلْتُ أفراده أي أُحصوا وجُمعوا،فلا يُزاد فيهم ولا ينقص ..."[1]،وما يفهم من كلام ابن منظور هذا أنّ معنى الفعل " أجمل " هو الجمع والضم بعد التفرّق،ومعنى " الجملة " هو كل مجموعة من الأشياء.

2-مفهوم الجملة عند سيبويه :

لقد أشار سيبويه إلى مفهوم الجملة في غير موضع من كتابه إلّا أنّه لم يذكر مصطلح الجملة بمعناه الاصطلاحي المتعارف عليه،وهو الأمر الّذي لاحظه الباحث عبد الرحمان الحاج صالح،حيث يقول في هذا الشّأن:"...فهذا أمر غريب آخر ألا يوجد أثرٌ لكلمة (جملة) في كتاب سيبويه وكذلك العبارة:(جملة مفيدة) لا أثر لها في هذا الكتاب،ولا نعثر على كلمة(جملة) بعد سيبويه،إلّا في كتاب المقتضب للمبرّد..."[2].

وإن غاب مصطلح الجملة عند سيبويه فهذا ليس معناه غياب المفهوم الّذي يدلّ عليه[3]،إذ يستعمل مصطلحات أخرى تدل على نفس المفهوم،فهو يسميها (كلاما) وأحياناً (الكلام المستغني)،وهذا ما يتّضح في قوله:" ما يستغني عنه السكوت وما لا يستغني ألا ترى أنّ (كان) تعمل عمل (ضرب) ولو قلت: (كان عبدُ اللّه) لم يكن كلاما،ولو قلت ضُرب عبد اللّه كان كلاما "[4]،ويقول في موضع آخر:" ألا ترى أنّه لم تنفذ الفعل في (كنت) إلى المفعول الّذي به يستغني الكلام ...فإنّما هذا في موضع إخبار وبها يستغنى الكلام "[5]،ويقول أيضا:" قبح أن تقول(أنّك منطلق بلغني أو عرفت) لأنّ الكلام بعد:(أنّ أو إنّ غير مستغن كما أنّ المبتدأ غير مستغن "[6]،ويقول في موضع آخر كذلك:" ألا ترى لو قلت:(فيها عبد اللّه) حسن السكوت وكان كلاما مستقيما كما حسن واستغنى في قولك (هذا عبد اللّه) "[7].

ومن خلال الأقوال السّابقة لسيبويه يلاحظ الباحث عبد الرحمان الحاج صالح أنّ " لفظة (الكلام) كافية للدلالة على مفهوم الجملة المفيدة عند سيبويه "[8]،غير أنّه ليس كل كلام عند سيبويه يدل على (جملة) أو(جملة مفيدة)،لأنّ سيبويه يستعمل مصطلح (كلام) ليدلّ على ثلاثة معان أساسيّة [9].

أمّا عن وظيفة الكلام (الجملة) عند سيبويه فيقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن:" ويريد سيبويه من الكلام المستغني الّذي يحسن أن يسكت المتكلّم عند انتهائه لأنّه قد استقلّ لفظا ومعنى "[10]،وبما أنّه قد استقلّ لفظا ومعنى فهو بذلك يشكّل عنده "وحدة تبليغيّة تتمّ بها الفائدة للمخاطب،أي يستفيد بها "[11]،فوظيفة هذه الوحدة التبليغية عنده هي " إعلام

المخاطب بشيء يحسب المتكلّم أنّه قد جهله،وسيبويه يلحّ على ذلك خلافا لكل من جاء بعده الّذين خلطوا بين هذه الوظيفة الإعلاميّة وبين الدّلالة على معنى وهو شيء آخر غير الإفادة "[12].

فإفادة الجملة ودلالتها على معنى عند سيبويه شيئان مختلفان تماما،فقد تكون الجملة ذات معنى ولكنها غير مفيدة،مثل قولهم " الثّلج بارد " ، أو " النّار محرقة " فإن دلتا على معنى فإنّهما لم تفدا السامع بشيء قد جهله لأنّه جرّبهما مرات عديدة.

وإذا علمنا أنّ سيبويه يشترط تحقّق الفائدة في الجملة وإلّا لم تكن جملة عنده،وأنّ الفائدة الّتي تحملها العبارة [*] للمخاطب لا تكون إلّا في استعمال الجملة بين المتخاطبين في واقع الخطاب،فيمكننا القول حينذاك إنّ سيبويه ينزل في تحليله للجملة إلى الاستعمال الحقيقي للّغة،هذا الاستعمال الّذي يُحقّق الملكة التّبليغيّة.

3-أنواع الجملة العربيّة عند سيبويه :

إنّ الإسناد عند سيبويه هو الأساس في بناء الجملة،والمعروف أنّ عمليّة الإسناد تقوم على عنصرين أساسيّين هما (المسند والمسند إليه)،وأنّ أقسام الكلام في اللّغة العربيّة ثلاثة هي:الاسم،والفعل،والحرف،والإسناد يكون في الاسم والفعل دون الحرف،يقول سيبويه:"هذا بابُ المسند والمسند إليه،وهما ما لا يُغني واحد منهما عن الآخر،ولا يجد المتكلّم منه بُدّا،فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه،وهو قولك:عبد اللّه أخوك،وهذا أخوك،ومثل ذلك يذهب عبد اللّه،فلا بدّ للفعل من الاسم،كما لم يكن للاسم الأوّل بد من الآخر في الابتداء،وممّا يكون بمنزلة الابتداء قولك:كان عبد اللّه مُنطلقا،وليت زيدا منطلق،لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده،كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده..."[13].

بيّن سيبويه هنا أنّ " ركني الإسناد هما المسند والمسند إليه وأنّهما متكاملان لا يستغني أحدهما عن الآخر في بناء الكلام،ولا يُمكن للمتكلّم أن يبني كلامه إلّا بهما،فلولاهما لم يقع إسناد،أي نسبة كلمة إلى أخرى بعلاقة إسناديّة أي " علاقة حديث " ،فالفعل حديث عن الفاعل،والخبر حديث عن المبتدأ،وهذا ما أكّده سيبويه في مواضع أخرى من كتابه"[14]،قال سيبويه:" ألا ترى أنّك لو قلت:إن يضرب يأتينا،وأشباه هذا لم يكن كلاما..."[15]،ويقول في موضع آخر:" لأنّك لو قلت:ما زيدٌ عاقلا أبوه نصبت،وكان كلاما ...لأنّك لو قلت ما زيدٌ عاقلا عمرو،لم يكن كلاما،لأنّه ليس من سببه..."[16]،فبين المسند والمسند إليه " ارتباط بمقتضى العلاقة الإسناديّة،الّتي سمّاها سيبويه سببا،وعلى أساس تلك العلاقة يتم قبول الكلام أو ردُّه "[17]،وتجدر الإشارة في هذا السّياق أنّ الإسناد " يتحقّق في اللّغة العربيّة في صورتين من الكلام **الجملة الاسميّة** ومثّل لها سيبويه بقوله:" عبد اللّه أخوك " و" هذا أخوك "،**والجملة الفعليّة** ومثّل لها

بقوله:" يذهب عبد اللّه "،ثمّ بين أنّ النّواسخ الّتي تدخل على الجملة الاسميّة مثل:" كان " و" ليت " لا تُخرجها عن صورتها الاسميّة،فهي بمنزلة الابتداء والإخبار..."[18].

1-3-مفهوم الجملة الفعليّة عند سيبويه :

إنّ الجملة الفعليّة عند سيبويه هي ما تكوّنت من مسند ومسند إليه،(فعل وفاعل) - إذا كان الفعل لازما،أمّا إذا كان الفعل متعدّيا فتتكوّن حينذاك من (فعل + فاعل + مفعول به) - وأعلمت السّامع خبرا جهله،وحدّها أن يسبق الفعل الفاعل وإلّا صارت جملة اسميّة،يقول سيبويه:" ...لأنّ الحد أن يكون الفِعل مبتدأ إذا عمِلَ..."[19]،ويقول أيضا في موضع آخر:" ...فإذا بنيت الاسم عليه قلتَ:" ضربت زيداً " وهو الحدُ،لأنّك تريدُ أن تُعمِله وتَحمِلَ عليه الاسم،كما كان الحدُ:ضرب زيدٌ عمراً،حيث كان زيد أوّل ما تشغل به الفعل،وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه ..."[20]،فالتّرتيب الطّبيعي الوضعي عند سيبويه هو(فعل + فاعل + مفعول به)،ولكن قد يحدث أن يتقدّم المفعول على الفاعل،أو على الفعل والفاعل معا وذلك للاهتمام به،يقول سيبويه:" ...وإن قدّمت الاسم فهو عربي جيّد،كما كان ذلك عربيّا جيّداً،وذلك قولك:زيداً ضَربتُ،والاهتمام والعناية هنا في التّقديم والتّأخير سَواء،مثله في ضَرَبَ زيدٌ عمراً وضَرَبَ عمراً زيدٌ "[21]،فالقصد العام من التّقديم والتّأخير في الجملة الفعليّة إنّما هو" الاهتمام والعناية بالعنصر المقدّم،فإن تضاعف هذا الاهتمام تقدَّم المفعول به خُطوة أخرى إلى الأمام،وتحوّل من كونه فضلة إلى كونه عمدة في العبارة وتحوّلت العبارة من حديث عن الفِعل إلى الحديث عن صاحب الفِعل،وبذلك تتغيّر بنيتها من جملة فعليّة إلى جملة اسميّة "[22]،قال سيبويه:" ...فإذا بنيتَ الفِعل على الاسم قلت: " زيدٌ ضَربتهُ،فلزمتهُ الهاء،وإنّما تُريدُ بقولك:مبني عليه الفِعل أنّه في مَوضع مُنطلق إذا قلت:عبد اللّه منطلقٌ..."[23].

وكخلاصة لما سبق يمكن القول إنّ الجملة الفعليّة عند سيبويه هي ما تكوّنت من عنصرين أُسندَ أحدهما إلى الآخر وأعلمت السّامع خبرا جهله،وفي هذا السياق قد يقول أحدهم إنّ هناك من الجمل ما تحمل إعلاما وفائدة للسّامع إلّا أنّها لا تتكوّن من عنصرين (المسند والمسند إليه)،وإنّما تتكوّن من عنصر واحد فقط،وبالتالي لا وجود للإسناد فيها،حينذاك يمكننا القول إنّ الجملة الفعليّة في الاستعمال قد تبقى كما هي وقد يتعرّض أحد عنصريها للحذف لغرض من الأغراض،أو لمقصد من المقاصد،وإن حُذف أحد عناصرها المسند أو المسند إليه منها في الاستعمال فهو يحذف على مستوى اللّفظ فقط،أمّا على مستوى الخطاب فهو موجود في ذهن المتخاطبين بحكم السّياق المتواجدين فيه،وهو الأمر الّذي تنبّه له الباحث عبد الرحمان الحاج صالح،حيث يقول :" ...فالحذف المقصود في هذه الأحوال هو الّذي يكون بإضمار ويعنون بذلك جعل الشّيء غير الموجود في اللّفظ منوّيا أي مقصودا في الخطاب،ومعنى ذلك أنّ الحذف ليس

هنا مجرّد طرح الشّيء بل هو حذفه مع إبقاء المتكلّم إيّاه في نيّته لأنّه ما يزال مقصودا،إنّما حُذف للاختصار والاستخفاف كما قال سيبويه،فالّذي ينويه المتكلّم إذا قال:" زيدا " هو الكلام التّام " اضرب زيدا..." "[24]،فالحذف هو " وجه من الوجوه الفرعيّة لغرض من الأغراض،أو لمقصد من المقاصد،ترتبط بصورة أو بأخرى بالأصل،ولهذا كان سيبويه حريصا على إبراز حد الكلام قبل أن يعرض لتلك الوجوه "[25].

4-مفهوم الملكة التّبليغيّة :

إنّ صاحب مصطلح الملكة التّبليغيّة هو دال هايمز (Dell hymes) بل ومبتكره في دراسة بعنوان on communicative competence الّتي نشرها في كتاب علم اللّغة الاجتماعي sociolinguistics،الّذي حرّره كل من بريد وهولمز J.b.pride and J.holmes 1972 ولقد صاغ هايمز هذا المصطلح ليقابل به مفهوم الكفاية competence الّذي طرحه تشومسكي أمام مفهوم الآداء performonce كما صاغه ليشمل الإلمام بقواعد علم اللّغة الاجتماعي،أو مناسبة الحديث للسّياق الاجتماعي بالإضافة إلى الإلمام بالقواعد النّحويّة [26]،يقول دال هايمز Dell hymes :" إنّ نظريّة تشومسكي القائمة على توليد الجمل اللّغويّة المختلفة صحيحة تماما،إذا كان المقصود منها وصف اللّغة ككيان مستقل بذاته بعيداً عن المواقف الاجتماعيّة والحياة الّتي تستخدم فيها اللّغة،لكن اللّغة لا قيمة لها ككيان مستقل بذاته،بعيداً عن المواقف الاجتماعيّة والحياة الّتي تستخدم فيها اللّغة ...لا قيمة لها ككيان مستقل فهي ليست قوالبا وصيغا وتراكيب مقصودة لذاتها،وإنّما هي موجودة للتّعبير عن الوظائف المختلفة،كالطّلب والتّرجي والأمر والنّهي والدّعاء والوصف والتّقرير،وغير ذلك من آلاف الوظائف اللّغويّة "[27] وبهذا الانتقاد المشهور لدال هايمز أُعيد الاعتبار للنّظريات السّياقيّة،حيث دخلت مجال اللّسانيات بقوة كنظريّات أفعال اللّغة لفلاسفة اللّغة العاديّة ونظريات التّداول والملفوظيّة ونظريات النّحو الوظيفي لسيمون ديك Simon Dikc.فالملكة التّبليغيّة في تصور دال هايمز هي " القدرة على نقل رسالة أو توصيل معنى معيّن،والجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللّغويّة وبين القواعد الاجتماعيّة في عمليّة التّفاعل للأفراد "[28].

وبعد أن أخرج دال هايمز مصطلح الملكة التّبليغيّة للوجود،استهوى هذا المصطلح الكثير من الباحثين الغربيين فبحثوا في كيفيّة تحصيل الملكة التّبليغيّة وقدّموا تعريفات عديدة لها،ومن تعريفات الغربيين نذكر تعريف ديتمار(Dietmar)الّذي عرّفها بقوله:هي " قدرة الأفراد على أن يتّصل أحدهم بالآخر في ظروف محدّدة موقفيّا ومعيارياً :لغويّة ونفسيّة واجتماعيّة وتداوليّة "[29]،وتعريف دوجلاس براون حيث يقول:هي " ذلك العنصر الّذي نستطيع به أن ننقل الرّسائل ونفسّرها ونتفاوض مع الآخرين في سياقات محدّدة "[30]،وتعريف كريستال Crystal الّذي يرى أنّ

الملكة التّبليغيّة تعني " وعي الفرد للقواعد الحاكمة للاستعمال المناسب في موقف اجتماعي "[31]،وما يلاحظ عن هذه التّعريفات أنّ السياق مرتبط بالملكة التّبليغيّة لأنّ هذه الأخيرة هي الّتي تمكّن المتكلّم من التّواصل مع الآخرين في سياقات محدّدة.

وقد اهتمّ اللّسانيون العرب وعلماء التّدريس بمصطلح الملكة التّبليغيّة كذلك،حيث ورد تعريف المصطلح في كتبهم،ومن الكتب الّتي ورد فيها مصطلح الملكة التّبليغيّة نذكر معجم علوم التّربية،حيث عرّفها أصحاب هذا المعجم بقولهم :هي " مجموع القدرات الّتي تمكن الفرد – بواسطتها – من الدّخول في علاقة تواصليّة مع الآخرين "[32]،ومنه فهي تتجاوز القدرة اللّسانيّة المتمثّلة في القدرة على تكوين جمل صحيحة لغويّا إلى قدرات أخرى اجتماعية،تداوليّة،استراتيجيّة...إلخ،ومنه فالقدرة النّحويّة هي قدرة من مجموع القدرات الّتي تعمل على تكوين الملكة التبليغيّة [33]،ومن اللّسانيين العرب الّذين تطرّقوا للمصطلح نذكر كذلك الباحث عبد الرحمان الحاج صالح الّذي عرّفها بقوله : هي " القدرة على استعمال اللّغة في مختلف الأحوال الخطابيّة لشتى الأغراض"[34] وهي-بهذا -تتعدّى الملكة اللّغويّة/ اللّسانيّة compétence linguistique الّتي تتمثّل في القدرة على التّركيب السّليم،ومن يمتلك هذه القدرة فقط لا يستطيع استعمال اللّغة في مختلف المقامات والأوضاع وما تقتضيه أحوال الخطاب في ميادين الحياة اليوميّة [35]،لأنّ " الملكة التّبليغيّة تؤخذ من وسائط عديدة :معرفيّة ونفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة،بناء على البنية الاجتماعيّة الّتي يعيش فيها المتكلّم،معنى هذا أنّ الملكة التّبليغيّة لا تكمن فقط في معرفة النّظام النّحوي والصرفي وحدهما،بل في معرفة قواعد ومعايير التّوظيف وقدرة المتكلّمين في ذلك "[36]،فالملكة التّبليغيّة " لا تتضمّن العناصر والبنيات اللّسانية فقط بل تتضمّن أيضا قواعدها الاجتماعيّة ومعرفة سياقاتها وكيفيات استعمالها حسب مقتضيات أحوالها "[37].

وعندما نقول بأنّ مصطلح الملكة التّبليغيّة ظهر حديثا هذا ليس معناه أنّه لا يوجد من تطرّق إليها من علمائنا القدماء قبل ذلك،فقد تطرّق لمصطلح الملكة كل من الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا وأبو حيان التّوحيدي وابن خلدون...وغيرهم،ولا شكّ أنّ هذا الأخير قد تطرّق بالتّفصيل إلى مسائل الملكة التّبليغيّة قائلاً :" ملكة هذا اللّسان غير صناعة العربيّة ومستغنية عنها في التّعليم "[38]،ثمّ يوضّح السّبب في ذلك قائلاً :" والسّبب في ذلك أنّ صناعة العربيّة إنّما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة،فهو علم بكيفيّة،لا نفس كيفيّة،فليست نفس الملكة،وإنّما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً،ولا يحكمها عملاً ..."[39]،ثم يضيف قائلاً :" ...وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة هي نفسها،فإنّ العلم بقوانين الإعراب إنّما هو علم بكيفيّة العمل وليس هو نفس العمل "[40]،فالملكة التّبليغيّة عنده تختلف عن

الإعراب الّذي يُحقّق الملكة اللّغويّة فقط،وهو ما يؤكّده في قوله :" فمن هنا يعلم أنّ تلك الملكة هي غير صناعة العربية،وأنّها مستغنية عنها بالجملة "[41]،ليُقرّر في الأخير أنّ المُخالط لكتاب سيبويه يكتسب الملكتين اللّغوية والتّبليغيّة معاً،قال ابن خلدون :" وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة،وهو قليلٌ واتّفاقيّ،وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه،فإنّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط،بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم،فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة،فتجد العاكف عليه والمحصّل له،قد حصّل على حظّ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته،وتنبّه به لشأن الملكة،فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة "[42] .

ويُقدّم ابن خلدون مثالاً جيداً عن الملكة التّبليغية في معرض حديثه عن البلاغة حيث يقول:" اعلم أنّ اللّغات كلها شبيهة بالصناعة،إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات،وإنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب،فإذا حصلت الملكة التّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة،ومراعاة التّأليف الّذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال،بلغ المتكلّم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسّامع وهذا هو معنى البلاغة "[43]،فابن خلدون يرى أنّ تمام الملكة يكون " بالنّظر إلى التراكيب لا بالنّظر إلى المفردات لأنّ اللّغات كلها ملكات للتّعبير عن المعاني،وإيصال المعنى لا يكون باللّفظ المفرد وإنّما بالتّراكيب المؤلّفة من الألفاظ " وهذا حديث عن الملكة اللّغويّة،ثم يتجاوزها بعد ذلك للحديث عن الملكة التّبليغيّة الّتي تكون بمطابقة الكلام لمقتضى الحال حيث يقول :" ومراعاة التّأليف الّذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال،بلغ المتكلّم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسّامع وهذا هو معنى البلاغة "[44]،ومنه فلا يمكن حصر الاهتمام على القواعد النّحوية فقط لتحقيق الملكة التّبليغيّة لأنّ القواعد النّحوية تبقى مكوّنا من مجموع المكونات الّتي تحقّق الملكة التّبليغية وليست كل المكونات ،و لذلك يجب الاهتمام بالمكونات الأخرى :الاجتماعية،الاستراتيجيّة...إلخ،يقول ابن خلدون متحدّثاً عن القواعد النّحويّة :" لم يفقد منها إلّا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول،فاعتاضوا عنها بالتّقديم والتّأخير وبقرائن تدلُّ على خصوصيات المقاصد،لأنّ الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويبقى ما تقتضيه،ويسمّى " بساط الحال " محتاجاً إلى ما يدلُّ عليه،وكل معنى لا بُدَّ أن تكتنفه أحوال تخصّه،فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود،لأنّها صفاته،وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدلُّ عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم وتأخير وحذف أو حركة إعراب،وقد يدلّ عليها بالحروف غير المستقلّة "[45] .

وبعد هذا الحديث المطوّل عن الملكة التّبليغيّة الّتي يحقّقها النّحو الدّلالي يجدر بنا أن نفرّق بينها وبين الملكة اللّغويّة الّتي يحقّقها النّحو الشكلي .

4-1-الفرق بين الملكة اللّغويّة والملكة التّبليغيّة :

تختلف الملكة اللّغويّة عن الملكة التّبليغيّة في زوايا مختلفة يمكن إيجازها في :"

أ-من حيث نوع المعرفة :تشتمل الملكة اللّغويّة على المعرفة الضمنيّة أو الكامنة الخاصة بالتراكيب اللّغويّة،بينما تشتمل الملكة التّبليغيّة على المعرفة الضمنيّة أو الكامنة الخاصة باستعمال اللّغة في مواقف اجتماعيّة وثقافيّة.

ب-من حيث القواعد الحاكمة :الملكة اللّغويّة تحكمها قواعد معيّنة،وهي القواعد اللّغويّة بينما تحكم الملكة التّبليغيّة قواعد أخرى خاصة بالعلاقة بين الأشخاص والتّنظيمات الاجتماعيّة والضّوابط الثّقافيّة.

ج-من حيث إنتاج اللّغة :إنّ الملكة اللّغويّة تزوّد الدّارس بإمكانات التّعميم لعدد غير محدود من الجمل،بينما تزود الملكة التّبليغيّة الدّارس بالقدرة على تعميم أشكال السّلوك التّبليغي لعدد غير محدّد من المواقف الاجتماعيّة.

د-من حيث النّحو :تهتم الملكة اللّغويّة بالنّسبة للنّحو syntax بمدى التزام الجمل بالقواعد النّحويّة المحدّدة،إنّ الشّكل النّحوي grammaticality للجملة هو ما تختص به الملكة اللّغويّة،بينما تختص الملكة التّبليغيّة بمدى مناسبة الجمل لسياقات محدّدة،الجانب الاجتماعي هو ما يشغل الملكة التّبليغيّة وليس مجرّد البنية النّحويّة للجمل.

هـ-من حيث اكتساب اللّغة :يستند اكتساب الملكة اللّغويّة على عوامل وراثيّة فطريّة بينما تستند الملكة التّبليغيّة إلى عوامل ثقافيّة يواجهها الفرد خلال تعلّمه"[46].

4-2-مرتكزات الملكة التّبليغيّة :

ترتكز الملكة التّبليغية على مجموعة من القدرات وليس على القدرة النّحوية فقط،تتّصل بعض القدرات بالنّظام اللّغوي نفسه،بينما تتّصل القدرات الأخرى بالجوانب الوظيفيّة الاتّصاليّة :

أ-القدرة النّحويّة :وهي تشتمل على " المعرفة بالوحدات المعجميّة وقواعد الصّرف والتّركيب ودلالة الجملة والأصوات "،أي أنّها تعني " السّيطرة " على الرّمز اللّغوي،وهي تعادل القدرة اللّغويّة عند هايمز.

ب-القدرة الخطابيّة :أي القدرة على ربط الجمل لتكوين خطاب ولتشكيل تراكيب ذات معنى في سلسلة متتابعة،والخطاب يشتمل على أي شيء يتدرّج من الحوار البسيط المنطوق إلى

النّصوص الطّويلة المكتوبة،ومن الواضح أنّ القدرة النّحويّة تركز على الجملة على حين تركز القدرة الخطابية على ما بين الجمل من علاقات.

ج-القدرة الاجتماعيّة :وهي تعني معرفة القواعد الاجتماعيّة والثقافيّة للغة وللخطاب،وهي تقتضي " فهم السياق الاجتماعي الّذي تستخدم فيه اللّغة،وأدوار وأطراف الخطاب،والمعلومات المشتركة بينهم،ووظيفة الخطاب .

د-القدرة الاستراتيجيّة :وهي معقّدة أشد التعقيد،إذ تعني ما نوظفه من استراتيجيات لغويّة وغير لغويّة لنعوض النّقص الّذي ينشأ عن متغيرات الأداء أو عدم توافر القدرة،أي أنّها الاستراتيجيات الّتي نستخدمها لنعوّض نقصاً ما في معرفة القواعد[47].

هـ-القدرة المرجعيّة :وتعني " المعرفة بمجال الخبرة وموضوعات العالم وعلاقاتها والخلفيات الفكريّة والمعرفيّة ومختلف الرواسب الحضاريّة الكامنة في كيان الفرد "[48].

د-القدرة التّداوليّة :وهي القدرة على " فهم وإنتاج فعل تواصلي كقدرة المتعلّم مثلاً على التّمييز متى يكون الجواب عن الاستفهام بـ " نعم " بوصفه سؤالاً في مثل (هل تستطيع أن تقدّم لي ذاك القلم ؟) بوصفه طلباً وليس استفساراً عن القدرة الجسديّة للمرسل إليه،فيكون قادراً على إنتاج أفعال مناسبة لمقامات التّواصل،وتأويل أفعال الغير والتّمييز بين الأفعال المباشرة والتّلميحيّة "[49].

5-تناول وتحليل سيبويه للجملة الفعليّة وأثره في تحقيق الملكة التّبليغيّة :

5-1-التّحليل اللّساني للجملة الفعليّة عند سيبويه :

يحلّل سيبويه الجملة الفعليّة من زاويتين،زاوية بنوية لفظيّة تخصُّ اللّفظ في حد ذاته،وزاوية خطابية تبليغيّة تخصُّ تبليغ الأغراض إلى المخاطَب،فالتناول الأوّل يعمل على تحقيق الملكة اللّغويّة في حين يختص التّحليل الثّاني بالملكة التّبليغيّة،يقول عبد الرحمان الحاج صالح :" ...إنّ سيبويه والخليل بن أحمد قد انفردا مع أكثر النّحويين الأقدمين بنظريّة اندثرت بعدهم وصارت بعد غزو المنطق اليوناني خاصة لا يتفطّن إليها إلّا الأفذاذ من النحاة مثل السهيلي والرضي الاستراباذي،ومن أهم المبادئ الّتي بُنيت عليها هذه النّظريّة نذكر تمييزهم الصّارم في تحليلهم للّغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو الإعلام والمخاطبة من جهة،أي تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسامع،وبين الجانب اللّفظي الصوري من جهة أخرى،أي ما يخصّ اللّفظ في ذاته وهيكلته وصيغته بقطع النّظر عمّا يؤدّيه من وظيفة في الخطاب غير الدّلالة اللّفظيّة،إذ هناك دلالة اللّفظ ودلالة المعنى ..."[50]،وعندما يحلّل سيبويه الجملة الفعليّة تحليلا خطابياً إعلاميّاً فإنّه يُركّز على الفائدة ويستعمل المصطلحات الخاصة بهذا المجال (كالمسند والمسند إليه)،يقول عبد الرحمان الحاج صالح :" إنّ الكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقل

ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف،ويمكن أن يحلّل – كما فعل سيبويه – إلى مكونات قريبة على حد تعبير علماء اللّسانيات،تكون خطابيّة لا لفظيّة صوريّة،أي عناصر لكل واحد منها وظيفة دلاليّة وإفاديّة،وهذه العناصر في الحقيقة عنصران:المسند والمسند إليه "[51]،وقد يتناول سيبويه الجملة من زاوية بنوية لفظية دون الزاوية الخطابية التّبليغيّة،وحينذاك يصير" الكلام المستغني " أو الجملة عنده " صيغة لفظيّة خاصة وليست هي الصيغة الخطابيّة المتكوّنة من مسند ومسند إليه "[52]،ويستدلّ الباحث عبد الرحمان الحاج صالح على هذا الرّأي قائلا :" وإلّا فلِمَ احتاج أولئك العلماء إلى تسميّة أخرى مثل المبتدأ أو المبني عليه ؟ "[53]،ثم يضيف :" ولماذا احتاجوا إلى تصوّر عنصر لفظي هام هو العامل وما يتعلّق به من معمول ؟ "[54].

وما نفهمه من هذين السؤالين هو أنّ سيبويه إذا تناول الجملة من الجانب اللّفظي البنوي استعمل مصطلحات خاصة بهذا الجانب مثل (العامل والمعمول) .

يقول سيبويه في تحليل الجملة الفعليّة :" ...و ذلك قولك:ضَربَ عبد اللّه زيداً،فعبد اللّه ارتفع ههنا كما ارتفع في ذَهب،وشغلت ضرب به كما شَغَلْت به ذَهَبَ،وانتصب زيدٌ لأنّه مفعول تعدّى إليه فعل الفاعل،فإن قدَّمتَ المفعول وأخرت الفاعل جرى اللّفظ كما جرى الأوّل،وذلك قولك:ضربَ زيداً عبدُ اللّه،لأنّك إنّما أردتَ به مُؤخّراً ما أردتَ به مُقدَّمَا،ولم تُرد أن تَشْغَل الفعل بأولَ منه،وإن كان مُؤخراً في اللّفظ فمن ثمَّ كان حدُّ اللّفظ أن يكون فيه مُقدّمًا،وهو عربي جيِّدٌ كثير،كأنّما يُقدِّمون الّذي بيانه أهمُّ لهم،وهو ببيانه أعني،وإن كانا جميعا يهُمّانهم ويعنيانهم... "[55].

في بداية القول يُحلّل سيبويه الجملة الفعليّة من زاوية لفظيّة بنويّة حينما تحدّث عن بنيتها:(فعل + فاعل + مفعول به)،فهذه البنية " تجعل الفعل يرفع الفاعل سواء أكان لازما أم مُتعدّيا،فالفعل مشغول بالفاعل،وليس صيغة فارغة،كما أنّ الفعل هو الّذي نصب المفعول به في الجملة:ضرب عبد اللّه زيداً،فإن تقدّم المفعول على الفاعل،فإنّ بنيّة الجملة الفعليّة لم تتغيّر،وإن تغيّر جانبها الخطابي،وهذا ما عبّر عنه بقوله:" جرى اللّفظ كما جرى في الأوّل "،فالمفعول مقدّمٌ في الرُّتبة،ولكنّه مؤخّرٌ من حيث الموضع،فهو مقدّمٌ على نيّة التّأخير،كما يقول النّحاة،وبيّن سيبويه بعد ذلك أنّ التّرتيب الطّبيعي العادي لعناصر الجملة الفعليّة هو(فعل + فاعل + مفعول به) وهو ما سماه حد اللّفظ..."[56]،وهذا التّحليل يعمل على تكوين الملكة اللّغويّة،إلّا أنّ سيبويه لا يكتفي بهذا التّحليل البنوي للجملة الفعليّة وإنّما يتعدّاه بعد ذلك إلى التّحليل الخطابي وعلاقته بمقاصد الجملة،يقول الباحث محمد ولددالي:"...ثم يلتفت سيبويه إلى دراسة وتحليل الكلام من الزّاوية الثّانية،وهي الزّاوية الخطابية التّبليغيّة،فيفسّر ظاهرة

العدول عن الأصل الّتي حدثت بتقديم المفعول به على الفاعل،بعد أن وصفها من قبل بأنّها ظاهرة مُستعملة في كلام العرب وشائعة،فكان تفسيره بأنّ المفعول قُدِّم للاهتمام به،وهو الأصل الّذي يُفسّر به سيبويه أغلب حالات التّقديم والتّأخير."[57]،كما أنّ سيبويه في نصّه السّابق كان حريصا على " تقديم الصّور المتعدّدة للتّركيب الواحد والتّمييز بين صورة وأخرى في مجال التّبليغ،وإن كانت هذه الصّورُ منحدرةً من أصل واحد "[58]،وهذا التّحليل يخص الملكة التبليغيّة.

2-5-الجملة الفعليّة عند سيبويه بين الوضع والاستعمال :

قال الباحث محمد ولدالي إنّ سيبويه أدرك حقيقة هامة عند تحليله للجملة الفعليّة وهي " أنّ المتكلّم ينطلق في كلامه من أصول ثابتة،ثم يُفرع كلامه عن تلك الأصول،ويصرّفه على وجوه عديدة ليعبّر عن معان وأغراض عديدة غير محصورة،وقد سمى هذه الأصول الثّابتة " الأصل في الكلام " وسمّى الفروع " الكلام " وهي الوجوه الّتي تظهر خلال الاستعمال "[59]،قال سيبويه في " باب ما يكون في اللّفظ من الأعراض :" ...اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك،ويحذفون ويعوّضون،ويستغنون بالشيء عن الشّيء الّذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا،فمّما حُذف وأصله في الكلام غير ذلك :لم يك ولا أدر ...و أمّا استغناؤهم بالشيء عن الشّيء فإنّهم يقولون :" يدع " ولا يقولون :" ودع " استغنوا عنها بـ " ترك "..."[60]،ويسمّي سيبويه كل هذه الظواهر بالتّوسع أو" سعة في الكلام " فكثيرا ما يقول:" ...و لكنّه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب..."[61]،وقد استبدل علماء اللّغة بعد سيبويه مصطلحي " أصل الكلام " و" الكلام " بمصطلحين آخرين هما :" أصل الوضع أو حقيقة اللّغة " في مقابل " الكلام " واستقر المصطلحان في الأخير على مصطلح " الوضع " في مقابل مصطلح " الاستعمال ".

وسمّى سيبويه " كل تلك الوجوه الكلاميّة المتفرّعة عن أصل الكلام :بالأعراض "[62]،وشرح أبو السّعيد السيرافي هذا المصطلح بقوله :" ...يعني ما يعرض في الكلام فيجيء على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه ..."[63]،وهذه الأعراض تصيب المعنى مثلما تصيب اللّفظ قال سيبويه معلّقا على قوله تعالى :﴿و اسأل القرية ﴾ [يوسف :82]...إنّما يريد أهل القرية فاختصر..."[64].

والجدير بالذّكر في هذا السّياق أنّ تعلّم الأوضاع اللّغويّة يكسب المتكلّم الملكة اللّغويّة الّتي تمكنه من إنتاج جمل صحيحة نحويّا،أمّا تعلّم الاستعمالات اللّغويّة في المقامات والسّياقات المختلفة فإنّه يُحقّق الملكة التّبليغيّة الّتي تمكن المتكلّم من مطابقة كلامه لمقتضى الحال.

1-2-5- استقامة الجملة ومنها الجملة الفعلية وعدمها في اللّفظ والمعنى عند سيبويه :

قال سيبويه عن الكلام (الجملة) في باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) :"...فمنه مستقيم حسن،ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح،وما هو محال كذب،فأما المستقيم الحسن

فقولك أتيتك أمس،وسآتيك غدا،وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول:أتيتك غدا،وسآتيك أمس،وأمّا المستقيم الكذب فقولك :حَمَلتُ الجبل،وشربت ماء البحر ونحوه .

وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللّفظ في غير موضعه نحو قولك :قد زيدا رأيت،وكي زيدا يأتيك،وأشباه هذا وأمّا المحال الكذب فأن تقول :" سوف أشرب ماء البحر أمس..."[65].

أ-الكلام المستقيم الحسن :وقد مثّل سيبويه لها الصّنف بالجملتين الفعليّتين :(أتيتُك أمسِ) و(سآتيك غدا) ويعني به المستقيم اللّفظ والمعنى،وتكون استقامة اللّفظ بأن يكون " ...ظاهره مستقيم اللّفظ والإعراب..."[66] من جهة و"...لم يكن في لفظه خلل من جهة اللّغة والنّحو ..."[67]،وتتحقّق هذه الاستقامة " بأن تكون مادة الكلام من كلام العرب،وصورته التّركيبيّة موافقة لقواعد التّركيب العربي،وأمّا استقامة المعنى فتتحقّق بأن يكون ممّا يقبله العقل وموافقا ومطابقا لحقائق الواقع "[68] " غير دال على كذب قائله ..."[69] " وأن يكون على ما قال ..."[70].

ب-الكلام المستقيم القبيح :ومثّل له سيبويه بـ :(قد زيدا رأيت) و(كي زيد يأتيك)،وهذا الصنف مستقيم لأنّه " سلم من اللّحن "[71]،وقبيح لأنّ " فيه مخالفة لمواضع الكلام "[72]،قال السيرافي :" ...فإذا قال قد زيدا رأيت،فهو سالم من اللّحن،فكان مستقيما من هذه الجهة ..."[73] أي " من ناحية اللّفظ،فالأصل في " قد " أن يليها فعل في أوضاع العرب التّركيبيّة،كما يلي الاسم " أل " وكذلك " كي " الأصل فيها أن يليها فعل،ومن هنا فَجَعْل الاسم بعدها من قبيل وضع الكلام في غير موضعه،وإنّما أتاه القبح من هذه الجهة "[74].

ج-الكلام المستقيم الكذب :ومثّل سيبويه لهذا الصّنف بالجملتين الفعليتين:(حَملتُ الجبل) و(شربت ماء البحر)،ويشرح الباحث محمد ولدالي هذا الصّنف قائلا :" ...فالكلام المستقيم هو الكلام الّذي سلم من حيث اللّغة والنّحو،أي من حيث اللّفظ،غير أنّ معناه لا يطابق الواقع،فهو وإن كان مستقيما من حيث لفظه فهو غير مستقيم من حيث معناه "[75]،وقال السيرافي كذلك في شرح هذا الصّنف:" ...وقد تبيّن في مثل هذا أنّ قائله كاذب فيما قاله،فتحكم على كلامه أنّه كاذب غير مستقيم من حيث كان كذبا،إلّا أنّه مستقيم اللّفظ ..."[76]،ومنه فهذا الصّنف من الكلام مستقيم لفظاً وغير مستقيم معنًى.

د-الكلام المحال :ومثّل سيبويه لهذا الصّنف بالجملتين الفعليتين الآتيتين:(أتيتك غدا) و(سآتيك أمس) والمحال حسب هذا التّحديد هو" ما لا يقبله العقل "[77]،قال السيرافي:"...و معنى المحال أنّه أحيل عن وجهة المستقيم الّذي به يُفهم المعنى إذا تُكُلِّم به...إنّ المحال هو الّذي يوجب اجتماع المتضادات ..."[78].

هـ-الكلام المحال الكذب :ومثّل سيبويه لهذا الصّنف بالجملة الفعليّة:(سوف أشرب ماء البحر أمس)،وهذا الصّنف " لا يقبله العقل من حيث لفظه،ولا يطابق الواقع الخارجي من حيث معناه "[79]،فال السيرافي :" ...فأمّا استحالته،فلاجتماع " سوف " و" أمس " فيه،وهما يتناقضان ويتعاقبان،وأمّا الكذب فيه،فإنّ لو عزلنا عنه " أمس " الّذي يوجب المناقضة والإحالة لبقى كذبا ..."[80].

ويتّضح من نص سيبويه السّابق أنّه ينظر إلى الكلام (الجملة) ومنها الجملة الفعليّة من زوايا عديدة :من زاوية اللّفظ والمعنى وما يتّصف به كلّ منهما،من حيث السّلامة وعدمها،وهو ما عبّر عنه بـ (الاستقامة وعدمها)،ثم نظر إلى الكلام(الجملة) باعتبار الوضع والاستعمال،وهو ما عبّر عنه بـ (الحسن والقبح والإحالة) [81].وقد أجمل الباحث عبد الرحمان الحاج صالح هذه التّقسيمات بقوله :" فعلى هذا يكون التّمييز بهذه الكيفيّة:

-مستقيم حسن :سليم في القياس والاستعمال .

-مستقيم قبيح :غير لحن،ولكنّه خارج عن القياس وقليل .

-محال:قد يكون سليما في القياس والاستعمال،ولكنّه غير سليم من حيث المعنى ..."[82].

وعن التقسيمات السّابقة للكلام عند سيبويه يقدّم الباحث محمد ولددالي ملاحظة دقيقة جدّاً قائلا:إنّ " سيبويه في تقسيماته السّابقة يميّز بين جانبين هامين:جانب السّلامة اللّغويّة،الّتي تتحقّق بسلامة اللّغة (المفردات) وسلامة النّحو (التّركيب) وجانب النّجاعة التّبليغيّة،الّتي تعتمد على مطابقة الكلام لحال الخطاب،تلك النّجاعة الّتي تكون على درجات متفاوتة من حيث الجودة والحسن والقبح والإحالة،وهذا الجانب الّذي عرض له سيبويه يمكن استغلاله في ميادين عدة ليكون استعمال اللّغة فعالا وناجعا وأبرز هذه الميادين ميدان تعليم اللّغات "[83]،يقول الباحث عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن :" كشفت لنا هذه النّظريّة أنّ اللّغة لا تُكتسب الملكة فيها إلّا إذا ميّز الملقنون بين جانبين اثنين من الملكة:الوضع والاستعمال،فالملكة على هذا هي ملكتان:القدرة على التّعبير السّليم،والقدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في أحوال خطابيّة معيّنة،ولكل واحدة منها قوانين تختصّ بها،وهذا قد كشفه الغرب منذ عهد قريب جدّاً،ومن تبعات هذا التّمييز الاهتمام بكلتا الملكتين،وألّا تطغى إحداهما على الأخرى..."[84]،يعلّق الباحث محمد ولددالي على هذا القول قائلا:" ومعنى هذا أنّ تعليمنا اللّغة في الأطوار المختلفة ينبغي أن يأخذ في الحسبان هذين الجانبين جانب السّلامة اللّغويّة وجانب النّجاعة التّبليغيّة،لكي يتدرّب المتعلّم على استعمال اللّغة في مواطن مختلفة،وأن يكون تعبيره موافقا لمقتضى الحال "[85].

2-2-5-السّياق والجملة الفعليّة عند سيبويه :

بعد أن أثبتت اللّسانيات البنويّة عجزها عن تفسير كل جوانب الظاهرة اللّغويّة خاصة فيما يتعلّق بالاستعمال اللّغوي،وعلاقة اللّغة بمستعمليها،ظهرت التداوليّة وأصحاب المنهج التّواصلي منادين بضرورة دراسة اللّغة أثناء تأديتها لوظائفها التّبليغيّة،وبعبارة أخرى وجوب ربط النظام اللّغوي بمستعمليه وظروف استعماله،ترتّب عن ذلك كما يرى أحد الباحثين تسليط الضّوء على جانب مهم أهملته الدّراسات البنويّة وهو السّياق وأثره في مختلف الاستعمالات اللّغويّة من حيث الشّكل والمضمون[86]،بوصفه " جملة العناصر المكوّنة للموقف الإعلامي أو للحالة الكلاميّة "[87].

وبالعودة إلى كتاب سيبويه يمكن القول:إنّه قد أدرك أهميّة السّياق في فهم معاني الجملة الفعليّة،لذلك تجاوز التّحليل اللّغوي الضّيق إلى التحليل الخارجي الموسّع المعتمد على السّياق بأنواعه المختلفة،يقول الباحث نهاد الموسى في هذا الشّأن:إنّ في كتاب سيبويه:" صور متوافرة في التّحليل اللّغوي الدّاخلي،وفي كتابه كذلك صور معجبه من تجاوز الدّائرة اللّغويّة الذّاتيّة،تتمثّل في التفاته إلى المعنى وتنبيهه إلى السّياق وما يلابسه من الظروف،والمتغيّرات،والمعطيات الخارجيّة الّتي تكشف الموقف الكلامي،من حال المخاطب وحال المتكلّم وموقف الخطاب..."[88]،ويقول الباحث محمد ولددالي كذلك في هذا السّياق:إنّ سيبويه في كتابه لا يكتفي في تحليل الجملة الفعليّة " بمعالجة الجانب البنوي فقط،بل يتناول أيضا الجانب الخطابي التّبليغي كذلك،فيذكر العبارة ثم يستحضر سياقها الّذي تُستعمل فيه لإفادة قصد معيّن،ويربط بين تلك العبارة ربطا محكما ثم يستعرض وجوها متعدّدة من الكلام مشابه لتلك العبارة ويبيّن السّياق الّذي يُستخدم فيه كل وجه من تلك الوجوه،والقصد الّذي تفيده في ذلك السياق،والسّياق عند سيبويه تشمل سياق المقام (السياق الخارجي) وسياق المقال (السّياق الدّاخلي) على حدٍّ سواء "[89]،يقول سيبويه عن سياق المقال:"...و من ذلك قول العرب:" كليهما وتمراً " فهذا مثل قد كثُر في كلامهم،واسْتُعْمِلَ،وتُرك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام،كأنّه قال:أعطني كِلَيْهِما وتَمراً ..."[90]،وعن سياق الحال قال:" ...ومِثْلِهِ بَيْعَ المَلَطَى لا عَهْدٌ ولا عقدٌ،وذلك إذا كنتَ في حالة مُساومَةٍ وحال بيعٍ،فتدَعُ أُبايِعُكَ استغناء لما فيه الحال..."[91].

يقول الباحث محمد ولددالي في شرح القولين السّابقين:" ...فالفعل قد يُحذف في كلام العرب تَوسّعًا إذا كان سياق الكلام يدلُّ عليه،كأن تسبِق الكلام عبارة أخرى مثل :هل تريد خبزاً أم لبناً ؟،فيقول المخاطب:كليهما وتمراً بحذف " أعطني " اعتماداً على الكلام السّابق،كما قد يُحذف الفعل في كلام العرب توسّعا إذا كان سياق الحال دال عليه،كأن يكون المخاطب والمتكلّم في السّوق في حال مُساومة وبيع،فيقول أَحَدُهُما :بَيعَ المَلَطَى،لا عهدٌ ولا عقدٌ،بحذف الفعل أَبيعُكَ،لأنّ الحال دال عليه "[92]،ومن " المَواطن الّتي يُكثر فيها سيبويه من التّركيز على

السّياق موطن تباين الخطأ والصّواب الاستعمالين،وموطن تفسير بعض ظواهر التّخفيف الّتي تقع في الكلام،وموطن دفع اللّبس "[93]،يقول سيبويه عن الحالة الأولى:" ...وزعم أبو الخطاب أنّ مِثله،قولك للرّجل :" سلاما " تريدُ تسَّلما منك،كما قلت:براءة منك،تُريد:لا ألتبِس بشيء من أمرك،وزعم أنّ أبا ربيعة كان يقول:إذا لقيتَ فلانا فقل له سلاما،فزعم أنّه سأله ففسّره له بمعنى بَراءة منك،وزعم أنّ هذه الآية:﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[الفرقان:63]بمنزلة ذلك،لأنّ الآية – فيما زعم – مكّية ولم يؤمر المُسلمون – يومئذ – أن يُسلِّموا على المشركين،ولكنّه على قولك براءة منك وتسلُّما،لا خير بيننا وبينكم ولا شرَّ..."[94]،يُعقّب الباحث محمد ولددالي على هذا القول قائلا :" ينقل سيبويه عن شيخه الأخفش الأكبر عبارة :" سلاما " الّتي تحتمل معنيين :سلام التّحيّة وسلام المُتاركة والمُباعدة،غير أنّه يفزع إلى السّياق ليبيّن أنّ القصد هو سلام المتاركة،ويستشهد بالآية الكريمة الّتي تحمل نفس القصد،ويعضد ذلك بالرجوع إلى أسباب النّزول الخاصة بالآية الكريمة ليثبت القصد منها "[95].

أمّا عن موطن تفسير سيبويه بعض ظواهر التّخفيف الّتي تقع في الكلام اعتماداً على السّياق قوله:" ...و سألتُ الخليل عن قوله،جلَّ ذِكْره:﴿ حتّى إذا جاؤوها وفُتّحت أبوابها ﴾ [الزمر :73] وعن قوله جلَّ وعلا :﴿و لو ترى الّذين ظلموا إذْ يَرونَ العذاب ﴾ [البقرة :165]، و﴿ لو ترى إذا وُقِفوا على النّار﴾ [الأنعام :27] فقال:إنّ العَرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المُخبِر لأيّ شيء وُضع هذا الكلام..." [96]،وقد فسّر " سيبويه ظاهرة حذف جواب الشّرط من الكلام في الآيات السّابقة بالرّجوع إلى سياق الكلام،وتحديدا عنصر المخاطب "[97].

أمّا عن حالة رفع اللّبس فيقول سيبويه :" ...يقول الرّجل :أتاني رجل يريد واحداً في العدد لا اثنين،فيُقال له:ما أتاك رجلٌ،أي أتاك أكثر من ذلك،أو يقول:أتاني رجل لا امرأة،فيُقال:ما أتاك رجل،أي امرأة أتتك،ويقول:أتاني اليوم رجُل،أي في قوته ونفاذه،فتقول:ما أتاك رجُل،أي أتاك الضعفاء..."[98]،يعلّق الباحث محمد ولددالي شارحا هذا القول:" ...فعبارة " أتاني رجل " في بنيتها السّطحيّة،تحتمل المعاني الثّلاثة السّابقة،غير أنّ المعوَّل عليه في ترجيح احتمال على آخر إنّما هو الرّجوع إلى سياق الكلام "[99].

5-2-3-الإبهام والجملة الفعليّة عند سيبويه :

يقول الباحث عبد الرحمان الحاج صالح إنّ:" الإبهام أو عدم الاختصاص الوضعي هي الصّفة الأساسيّة الّتي يتّصف بها مدلول كل وضع من أوضاع اللّغة "[100]،وهذا معناه أنّ الدّلائل اللّغويّة تكون مبهمة وغير مختصّة في وضع اللّغة،وهذا ليكون المتكلّم قادراً على أن يتكلّم عن الشّيء المعيّن وغير المعيّن أي عن المبهم من المعاني والمختص منه عند الحاجة "[101]،وتجدر الإشارة في هذا السّياق أنّ الإبهام عند سيبويه ليس معناه الغموض بل عدم التّعيين في مقابل

الاختصاص [102]،قال سيبويه عند كلامه عن التّمييز:" ...و إذا قلت " ويْحَهْ فقد تعجّبتَ وأبهمتَ من أي أمور الرّجل تعجَّبتَ...فإذا قلت فارسا،فقد اختصَصتَ ولم تُبهم..."[103]،ومثله (ما) الّتي قال عنها:" إلّا أنّها مبهمة تقع على كل شيء "[104] لأنّها قد تكون تعجبيّة،وقد تكون موصولة،وقد تكون شرطيّة وقد تكون استفهاميّة...إلخ،ومنه فهي مبهمة ومتعدّدة الدلالة في الوضع،واختصاصها وتحديدها لا يكون إلاّ في الاستعمال .

ومن أمثلة الإبهام الحاصل في أركان الجملة الفعليّة نذكر:(الفعل) في الجملة الفعليّة فهو عند سيبويه مبهم وغير مختص وهو ما يتّضح في تحديد سيبويه للفعل حيث يقول :...وأمّا الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء،وبُنيتْ لما مضى،ولما يكون ولم يقع،وما هو كائن لم ينقطع..."[105]،وما لاحظه الباحث عبد الرحمان الحاج صالح من هذا التّعريف أنّ تقسيم الأفعال عند سيبويه مبني على انقطاع الحدث أو عدم انقطاعه وليس مبنيا على الزّمن،ومنه فدلالة الفعل عنده لا تتحدّد بانقضاء زمن وقوعه وعدم انقضائه فقط،وإنّما بانقطاع الحدث أو عدم انقطاعه،يقول الباحث عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن إنّ سيبويه "يخصّ تحديد دلالة الفعل لا على الزمان فقط بل على مدلول آخر مهم جدّا وهو انقطاع الحدث أو اتّصاله وذلك مهما كان الزمان "[106]،فسيبويه وإن أشار في تعريفه للفعل إلى دلالة الفعل على الزمن إلى أنّه ميّز وفرّق بين دلالته على ذلك ودلالته على " انقطاع الحدث أو اتّصاله بدون اعتبار الزمان " [107].

وإذا عرفنا أنّ مدلول الفعل عند سيبويه هو (الحدث حين حدوثه (وقوعه)) وهو ما يُفهم من قوله:" إذا حدّثت عن فعل (أي الحدث) في حين وقوعه "[108]،فيمكننا القول حينذاك:إنّ الفعل المضارع عنده هو حدث غير منقطع (متّصل) حين وقوعه،أي وقت وقوعه،فالفعل المضارع بذلك متّصل في الحاضر أو في المستقبل،أو في الماضي يقول سيبويه في هذا الشّأن:" هذا ضارب زيدا غدا،فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا (غدا)،فإذا حدّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان ذلك وتقول:هذا ضارب عبد اللّه الساعة،فمعناه وعمله مثل (هذا) يَضرب زيدا الساعة،وكان (زيدٌ) ضارب أباك،فإنّما تحدّثت أيضا عن اتّصال فعل في حال وقوعه ...فمعناه وعمله كقولك:كان يضرب أباك "[109]،ومن خلال هذه الأمثلة الّتي ضربها سيبويه يتّضح أنّ الفعل المضارع لا يتّضح ولا يتعيّن زمنه إلا في الاستعمال من خلال ما يدخل عليه من قرائن فكلمة (غدا) جعلته متّصلا في المستقبل،وكلمة (الساعة) جعلته متّصلا في الحاضر،أما كلمة (كان) فجعلته متّصلا في الماضي،وقد علّق عبد الرحمان الحاج صالح على قول سيبويه هذا قائلا:" إنّ صيغة الفعل وحدها أي بدون اعتبار لدخول الزوائد على الفعل وعدم دخولها -مثل السين ولن ولم (وظروف الزمان كسياق) – لا تدلّ على الزمان بكيفيّة

مطلقة أبدا بل تدلّ الصيغة في حدّ ذاتها على ...وعدم الانقطاع لوقوع الحدث،وتدلّ على الزمان على ذلك بما يدخل على الفعل "[110].

فالفعل المضارع " في ذاته (أي بصيغته لا بما يدخل عليه) يدلّ على حدوث حدث في حين وقوعه غير منقطع وعبارة سيبويه (حين وقوعه) معناها:في أي زمان،فعدم الانقطاع هو غير زماني الحال أو المستقبل كما فهمه أكثر النحاة،لأنّ الحدث يحدث غير منقطع في الحاضر ...أو فيما مضى ...،فالفعل المضارع يدلُّ بصيغته وحدها على هذا الاتّصال للحدث"[111].

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ الفعل المضارع عند سيبويه عبارة عن حدث متّصل حين وقوعه فقد يتّصل الفعل المضارع في الحال أو المستقبل إذا تجرّد من القرائن والأدوات الدّاخلة عليه،ويتعيّن اتّصاله في المستقبل،أو يتّصل في الماضي إذا دخلت عليه بعض الأدوات والقرائن،ومنه فالفعل المضارع عند سيبويه -في مستوى الوضع -مبهم الزمن يدل على جميع الأزمنة، أمّا – في الاستعمال – فهو مختص بزمن معين،وما قلناه عن الفعل المضارع ينطبق كذلك عن الفعل الماضي فحين يتجرّد من الزوائد الدّاخلة عليه فهو يدلّ على أنّه على الأصل،ومنه فعدم وجود علامة تسبق الفعل الماضي يدلّ على أنّ الفعل الماضي يدلّ على الزمن الماضي في الأصل،يقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن:" فعدم العلامة فيما يخصّ الماضي دليل على أنّه على الأصل إذ لم يدخل عليه شيء فلا يتغيّر مدلوله الأصلي وهو الزمان الماضي "[112]،أمّا إذا أضفنا شيئا للمبنى الأصلي للفعل الماضي فقد يتغيّر معناه حينذاك ويدلّ على أزمان أخرى،غير زمنه الأصلي،يقول عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الشّأن :" وقد يدلّ على المستقبل إن دخلت عليه زوائد كما في ﴿إذا جاء نصر اللّه﴾[النصر : 1] أو دخلت عليه أدوات الشّرط مثل (إنْ)،أو ما يدلّ على مجرّد افتراض بدخول (لو) وغير ذلك،فمجموع الصيغة وخلو هذا الموضع من الأدوات -لا الصيغة وحدها – هو الّذي يدلّ على الزمان الماضي "[113].ومنه فالفعل الماضي عند سيبويه هو فعل منقطع في أي زمن وقع،ينقطع في الماضي كقولنا:لعب محمد بالكرة،كما ينقطع في المستقبل وذلك في قوله عزّ وجلّ:" إذا جاء نصر اللّه "،وينقطع في الحال كقولنا:جاء محمد الآن،ومنه فالفعل عند سيبويه لا يدلّ على الزّمن بنفسه،وإنّما يدلّ على كيفيّة وقوع الحدث،أمّا الزّمن فيدلُّ عليه ما يدخل على الفعل،والدّليل على ذلك أنّ الفعل الواحد يدلّ على جميع الأزمنة بحسب ما يدخل عليه،فالفعل (جاء) مثلا يبدو من الوهلة الأولى أنّه يدلّ على الزمن الماضي ولكنّه في حقيقة الأمر غير ذلك،فحين تقول:جاء الآن،يصير دالا على الحال،وحين تُدخِل عليه (إذا) كقولك:إذا جاء،يصير دالاً على المستقبل،وحين تتبعه بكلمة (أمس)،كقولك:جاء أمس يصير دالاً على الماضي،فالّذي يدلّ على الزمن هو تلك القرائن الّتي تدخل على الفعل لا الفعل وحده،يقول عبد الرحمان الحاج صالح:"

إنّ صيغة الفعل وحدها أي بدون اعتبار لدخول الزوائد على الفعل وعدم دخولها – مثل السين ولن ولم (و ظروف الزمان كسياق) – لا تدلّ على الزمان بكيفيّة مطلقة أبداً،بل تدلّ الصيغة في حد ذاتها على مفهومي الانقطاع وعدم الانقطاع لوقوع الحدث،وتدلّ على الزمان على ذلك بما يدخل على الفعل "[114].

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ الفعل عند سيبويه مبهم الزمن (غير معين)-في مستوى الوضع -ويتعيّن زمانه في – الاستعمال- من خلال ما يدخل عليه،ومن خلال تواجده في جمل ونصوص،وتجدر الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ الإبهام لا يوجد في الفعل فقط،بل في أركان الجملة الفعلية الأخرى كذلك من فاعل ومفعول،يقول عبد الرحمان الحاج صالح:" ...فليس الفعل يوصف هو وحده بالإبهام بل كذلك هو والفاعل والمفعول..."[115].

وبعد أن تحدثنا عن الإبهام الّذي يخص الوضع مثل إبهام الفعل الّذي يحتمل جميع الأزمنة،يجب التّنبيه أنّ هناك نوع آخر من الإبهام الّذي يخص الاستعمال ويحدث في التّخاطب يقول عبد الرحمان الحاج صالح:" ...وهناك إبهام من نوع آخر وهو استعمالي وخطابي غير وضعي لأنّه لا يحدث إلّا في التّخاطب وبسبب يرجع إلى ظاهرة التّخاطب،فبما أنّ الخطاب حدث يُحدثه متكلّم فلا بدّ من أن يكلّفه ذلك بعض الجهود،وبما أنّ الإنسان ميّال بطبعه إلى الاقتصاد في جميع ما يبذله من جهود فلا يفوته إذا سنحت الفرصة أن يوفّر ما يمكنه من ذلك،وهذا حاصل بالفعل في استعماله لجهاز اللّغة،وهذا التّوفير للجهود العضليّة في تأدية الأغراض بالكلام يسمّيه النّحاة العرب تخفيفا فإذا استخفّوا شيئا في نطقهم له كالحذف للكلم أو الحروف أو القلب لهذه الأخيرة أو إدغامها أو اختلاسها أقدموا على ذلك ولا يكون هذا غالبا إلّا على عُرف وعادة تعارفوا عليها فمن ثمّ حدوث الإبهام الخطابي إذا كثُر هذا التّخفيف..."[116].

ولا شكّ أنّ الحذف في العبارة موجود بكثرة،ولكن لا بدّ من توفر مجموعة من القرائن المصاحبة لها وإلّا تعذّر على المتلقي فهم الخطاب،يقول عبد الرحمان الحاج صالح:"...فالحذوف فيما يخص الكلام المفيد كثيرة جداً ويكون ذلك ملبساً إلّا مع وجود القرائن،وقد رأينا فيما سبق أنّ الكلام تصطحبه في جميع أحواله أدلّة من نوع آخر وهي خارجة عن اللّفظ وهي مجموع القرائن من مشاهدة الحال وحضور المتخاطبين وتقدّم الذّكر وعلم المخاطب ولا يمكن أن يفهم الغرض من الكلام والكلم الّتي يتألّف منها إلّا بهذه القرائن،فلا كلام إلّا بها أبداً ..."[117]،وفيما يلي أهم القرائن الّتي ذكرها سيبويه والّتي تساعد على فهم الجملة الفعليّة وتزيل إبهامها في الاستعمال :

أ-قرينة ما يرى المخاطب من الحال :وسُمّيت بعد سيبويه بـ :(القرينة الحاليّة) [(*)]،قال سيبويه :" ...و مثله مواعيد عرقوب أخاه بيثرب،كأنّه قال:" واعدتّني مواعيد عرقوب أخاه ولكنّه ترك "

واعدتّني " استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف واكتفاء بعلم من كان يعني بما كان بينهما قبل ذلك ..."[118]،فعبارة " بما هو فيه من ذكر الخلف " تشير إلى أحد عناصر السّياق وهو حال الخطاب،يقول سيبويه :" ...و إنّما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنّوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال وبما جرى من الذّكر "[119].

ب-قرينة ما جرى من الذّكر،أو ما كان قبل ذلك من الكلام :وسُمّيت بعد سيبويه بـ:(القرينة المقاليّة)،وهي :" كل كلام متقدّم يساعد المخاطب على فهم ما جاء بعده "[120] قال سيبويه معلّقا على بيت أبي دؤاد :

" أكلّ امرئ تحسبين آمرأ ونارٍ توقد باللّيل نارا

فاستغنيتَ عن تثنية "كلّ "لذكر إياه في أوّل الكلام ولقلّة التباسه على المخاطب "[121]

فعبارة "لذكر إياه في أوّل الكلام " قرينة مقاليّة مساعدة على فهم الجملة.

ج-قرينة علم المخاطب السّابق :سُمّيت بعد سيبويه بـ :(القرينة العقليّة)،وهي " كل ما يعلمه المخاطب ممّا يساعده على فهم الخطاب وكل علم تحصّل عليه منذ عهد قريب أو بعيد وهو أيضا كل المعلومات العامة – البديهية منها والمكتسبة – الّتي تحصّل عليها منذ نشأته بالتجربة وكل ما يستنتجه من هذه البديهيات بالنسبة لمضمون الخطاب،وكثيرا ما يفسّر ظواهر الاتّساع بعلم المخاطب ويريد ذلك رجوعه إلى هذه البديهيات العقليّة "[122]،قال سيبويه:" ...واعلم أنّ الضّرب لا يُضرب..." [123]،وهذا من البديهيات العقليّة لأنّ الضرب لا يضرب،وقال أيضا:"...وسألت الخليل عن قوله جلّ ذكره:﴿حتّى إذا جاؤوها وفُتّحت أبوابُها ﴾ [الزمر:73] أين جوابها ؟ وعن قوله جلا وعلا:﴿و لو يرى الّذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ [البقرة :165]فقال:إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبَر لأي شيء وُضِع هذا الكلام ..."[124]،فعبارة " لعلم المخبر لأي شيء وُضع الكلام " معناها علمه بالعنصر المحذوف ألا وهو جملة جواب الشّرط .

و قال سيبويه في مثال آخر:

" بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

...أضمر لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم "[125].

خاتمة :

و في النّهاية وصل بحثنا هذا إلى مجموعة من النّتائج نذكر منها:

- حلّل سيبويه الجملة الفعليّة من زاويتين: زاوية بنويّة لفظيّة تحدّث فيها عن القوانين المجرّدة الّتي تحكم الجملة الفعليّة،وزاوية خطابيّة تبليغيّة تحدّث فيها عن الوجوه المختلفة للتّركيب الواحد في واقع الاستعمال،والقصد الّذي يحمله كل وجه من تلك الوجوه في سياق

محدّد،ولاشكّ أنّ التّحليل الأوّل يعمل على تحقيق الملكة اللّغويّة بينما يحقّق التّحليل الخطابي التّبليغي الملكة التّبليغيّة.

- جمع سيبويه في تحليله اللّساني للجملة الفعليّة بين التّحليل اللّساني الدّاخلي الضّيق الّذي يهتم باللّغة في حدّ ذاتها ولا يخرج عن دائرتها ممّا يُحقّق الملكة اللّغويّة،وبين التّحليل اللّغوي الخارجي الموسّع الّذي يتجاوز اللّغة إلى ما هو خارجها ممّا له صلة بها كمعطيات السّياق وعناصره المختلفة من مخاطِب ومخاطَب...إلخ الّذي يُحقّق الملكة التّبليغيّة.

- تناول سيبويه الجملة الفعليّة في الوضع والاستعمال معاً،حيث سعى في التّناول الأوّل إلى الوصول إلى القوانين الوضعيّة الّتي تحكم الجملة الفعليّة والّتي تحقّق الملكة اللّغويّة،بينما سعى في التّناول الثّاني إلى الوصول إلى قوانين استعمال الجملة الفعليّة في واقع الخطاب والّتي تحقّق الملكة التّبليغيّة.

- إنّ تناول سيبويه للجملة الفعليّة من زاويتي الوضع والاستعمال معاً أدّى به إلى التّفريق بين المعنى والفائدة،فالمعنى ما تفيده الألفاظ وطريقة تركيبها،بينما الفائدة هي المعلومة الّتي قدّمها العبارة للمخاطَب،وسيبويه يشترط في الجملة ومنها الجملة الفعليّة أن تكون مفيدة وإلّا لا تُعدُّ جملة عنده .

- إنّ طريقة تحليل سيبويه للجملة الفعليّة المتمثّلة في الاهتمام بالوضع والاستعمال معاً تبيّن أنّه لا يفصل بين علمي النّحو والبلاغة خاصة إذا عرفنا أنّ كتابه كتاب في علوم اللّغة العربية جميعها وليس كتابا في النّحو فقط .

- لقد حلّل سيبويه الجملة الفعليّة في كتابه وفق المنهج التّواصلي وهو ما يتّضح من خلال تحليله لها من زاويتي الوضع والاستعمال وربطه اللفّظ بالمعنى واعتماده على السّياق وملابسات الخطاب .

- يسعى سيبويه في تحليله للجملة الفعليّة إلى تحقيق الملكتين اللّغويّة والتّبليغيّة معاً وهو ما يتّضح من خلال تناول الجملة الفعليّة من زاويتين:زاوية بنويّة لفظيّة،وزاوية تبليغيّة خطابية،ركّز في الزّاوية البنويّة الّتي تحقّق الملكة اللّغويّة على القوانين المجرّدة الّتي تحكم الجملة الفعليّة كتقدّم الفعل على الفاعل واشتغاله به،ومنها استحالة تقدّم الفاعل على فاعله،وركّز في الزّاوية التّبليغيّة على البعد التّبليغي والفائدة،كما فسّر بها حالات العدول عن الأصل كتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل معاً،وتحوله من كونه فضلة إلى كونه عمدة .

- إنّ الأوضاع اللّغويّة عند سيبويه مبهمة ومتعدّدة الدّلالة ولا يزول إبهامها ولا تتعيّن ولا تختص دلالتها إلّا في الاستعمال،فالفعل مبهم الزمن في الوضع يحتمل جميع الأزمنة،ولا يتعيّن زمانه إلّا في الاستعمال .

- إنّ الإبهام عند سيبويه لا يكون في الوضع فقط،ولكن يوجد كذلك في الاستعمال لتواجد القرائن الكافية المزيلة للإبهام والمُساعدة على فهم الكلام .

ومن خلال الحقائق والنّتائج السّابقة الّتي وصل إليها البحث يمكننا القول :

- إنّ طريقة تناول سيبويه للجملة الفعليّة يمكن استغلالها في ميدان تعليمية اللّغات فالاهتمام بالوضع يُحقّق الملكة اللّغويّة الّتي تمكّن المتعلّم من التّعبير السّليم،والاهتمام بالاستعمال يُحقّق الملكة التّبليغيّة الّتي تمكّنه من تبليغ كل أغراضه في أحوال خطابيّة معيّنة .

- يجب استثمار كل من مفهوم الفعل ومفهوم الفاعل ومفهوم المفعول به ومفهوم الجملة الفعليّة في كتبنا المدرسيّة .

هوامش البحث:

[1] - ابن منظور،لسان العرب،ج :1،مادة (ج م ل)،ص :462 (صادر) .

[2] - عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،ج 1،منشورات المجمع الجزائري للّغة العربية،ص 290-291.

[3] - ينظر:عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ج1،ص 291 .

[4] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،262 .

[5] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،74 .

[6] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،463 .

[7] - سيبويه،الكتاب،ج1،261 .

[8] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 291.

[9] - ينظر:عبد الرحمان الحاج صالح،سلسلة علوم اللّسان عند العرب3 ،الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة،منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة،ص 12،13.

[10] - عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،الجزء الأوّل،ص 291 .

[11] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 291 .

[12] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 291 .

[(*)] هناك فرق بين الجملة والعبارة،فالجملة هي :"...سلسلة من الكلمات تنتجها قواعد اللّغة ويكون لها معنى حرفي مجرّد من المقام cotext..." الحسن شاهر،علم الدّلالة السمانتيكيّة والبراغماتيّة في اللّغة العربيّة،دار الفكر للنّشر والتّوزيع،الأردن،ط1،1422هـ،2001 م،ص :18،بينما العبارة هي :"...التّركيب المفيد الّذي ينطقه المتكلّم بالفعل في سياق معيّن في زمن معيّن ..." محمد محمد يونس علي،علم التّخاطب الإسلامي،دراسة لسانيّة لمنهاج علماء الأصول في فهم النّص،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،2006م،ص50 .ومنه فالجملة تنتمي إلى الوضع،أمّا العبارة فهي تنتمي إلى الاستعمال .

[13] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،23.

[14] - محمد ولددالي،النحو ومقاصد الكلام بين سيبويه وابن مالك ،دراسة مقارنة لبعض أوجه استعمال الجملة الفعليّة،رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم،جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد اللّه،2014،2015،ص،397 .

[15] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص23.

[16] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،62 .

[17] - محمّد ولددالي،المرجع نفسه،ص،398 .

[18] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 398 .

[19] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 19 .

[20] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 80 .

[21] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،80،81 .

[22] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص،417 .

[23] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 81 .

[24] - عبد الرحمان الحاج صالح،الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة،ص 66 .

[25] - محمد ولدالي،المرجع نفسه،ص 405 .

[26] - ينظر:رشدي أحمد طعيمة،محمود كامل النّاقة،تعلم اللّغة اتّصاليّا بين المناهج والاستراتيجيات،منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة،إسيسيسكو 1427هـ،2006هـ،ص46 .

[27] - نايف خرما وعلي حجاج،اللّغات الأجنبيّة تعليمها وتعلّمها،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت،1988،ص85.

[28] - رشدي أحمد طعيمة،محمود كامل النّاقة،المرجع نفسه،ص46 .

[29] - محمد العبد،النّص والخطاب والاتّصال،الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي،القاهرة،مصر،ط2005،1،ص 49.

[30] - دوجلاس براون،أسس تعلّم اللّغة وتعليمها،ترجمة عبده الرّاجحي،وعلي علي أحمد شعبان،دار النّهضة العربيّة،1994،ص 244 .

[31] - رشدي أحمد طعيمة،محمود كامل النّاقة،المرجع نفسه،ص 47.

[32] - جماعة من الباحثين،معجم علوم التّربيّة،مصطلحات البيداغوجيا والدّيداكتيك،سلسلة علوم التّربيّة،9 و10،مطبعة النّجاح الجديدة،1994،ص 131.

[33] - ينظر:ياحي هشام،دور النّحو في بناء الملكة التّبليغيّة،السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط أنموذجا،دراسة وصفية تحليلية،مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي،تخصّص :تعليميّة اللّغة العربيّة،جامعة المدية،قسم اللّغة العربيّة،2016م/2017 م،ص :61 .

[34] - عبد الرحمان الحاج صالح،علم تدريس اللّغات والبحث العلمي في منهجيّة الدّرس اللّغوي،ص 10.

[35] - ينظر:عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 10 .

[36] - بشير إبرير،استراتيجيّة التّبليغ في تدريس النّحو،أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في 23-24 أفريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامّة،منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّ 2001،ص،485،484.

[37] - بشير إبرير،المرجع نفسه،485.
[38] - ابن خلدون،المقدمة،مكتبة دار المدينة المنورة للنّسر والتوزيع،الدار التونسية للنّشر،،1984 ص :729 .
[39] - ابن خلدون،المرجع نفسه،ص :729 .
[40] - ابن خلدون،المرجع نفسه،ص :729 .
[41] - ابن خلدون،المرجع نفسه،ص :730 .
[42] - ابن خلدون،المرجع نفسه،ص :730 .
[43] - عبد الرحمان ابن خلدون،المقدّمة،ص 1126 .
[44] - عبد الرحمان ابن خلدون،المقدّمة،1126 .
[45] - عبد الرحمان ابن خلدون،المقدّمة،ص726 .
[46] - رشدي أحمد طعيمة،المهارات اللّغويّة :مستوياتها،تدريسها،صعوباتها،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،ط2004،1،ص :176،177.
[47] - ينظر :دوجلاس براون،أسس تعلّم اللّغة وتعليمها،ترجمة،د.عبده الراجحي،ود.علي علي أحمد شعبان،دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر،بيروت،1994،ص :245،246 .
[48] - ينظر :بشير إبرير،المرجع نفسه،ص 486.
[49] - عليك كايسة،واقع تدريس التّعبير والتّواصل بالمدرسة الابتدائيّة (السّنة الخامسة أنموذجا)،العدد الخاص بأعمال ملتقى :الممارسات اللّغويّة :التّعليميّة والتّعلميّة،جامعة مولود معمري تيزي وزو،مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر،7-8-9 ديسمبر 2010 م،ص :648 .
[50] - عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،الجزء الأوّل،ص 292.
[51] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 293.
[52] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 295 .
[53] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 295 .
[54] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 295 .
[55] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،34 .
[56] - محمّد ولددالي،المرجع نفسه ،ص ،408 .
[57] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص،408 .
[58] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 408 .
[59] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 244.
[60] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 8 .
[61] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 108،109 .
[62] - محمد ولددالي،المرجع نفسه ،ص 245 .
[63] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص 179 .
[64] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 108 ،وعبد الرحمان الحاج صالح،الخطاب والتّخاطب،ص 8 .
[65] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 25،26 .

[66] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص 186 .
[67] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص 186 .
[68] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص،247،248 .
[69] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص 186 .
[70] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص 186 .
[71] - محمد ولدالي،المرجع نفسه،ص 248 .
[72] - محمد ولدالي،المرجع نفسه،ص 248 .
[73] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1 ،ص،187 .
[74] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 248 .و ينظر :السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج 1،ص 187 .
[75] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص،248 .
[76] - السيرافي،شرح كتاب سيبويه،ج1،ص :186 .
[77] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 249 .
[78] - السيرافي،المرجع نفسه،ج1،ص :186 .
[79] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :249 .
[80] - السيرافي،المرجع نفسه،ج1،ص :187 .
[81] - ينظر :محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :49 .
[82] - عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،ج1،ص :218 .
[83] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 250 .
[84] - عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،ج1،ص :218 .
[85] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :250 .
[86] - ينظر :محمد الأخضر الصبيحي،المناهج اللّغويّة الحديثة وأثرها في تدريس النّصوص بمرحلة التّعليم الثّانوي،ص91.
[87] - فوزي عيسى،رانيا فوزي عيسى،علم الدّلالة النّظرية والتّطبيق،دار المعرفة الجامعيّة،الاسكندريّة،ط1،2008،ص59.
[88] - نهاد الموسى،الوجهة الاجتماعيّة في كتاب سيبويه،مقال،جامعة شيراز إيران،1353 هـ .
[89] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :411 .
[90] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص :280،281 .
[91] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص :272 .
[92] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :411،412 .
[93] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص 412 .
[94] - سيبويه،الكتاب،ج :1 ،ص :324،325 .
[95] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :412 .
[96] - سيبويه،الكتاب،ج3،ص :103 .

[97] - محمد ولددالي،المرجع نفسه ،ص :412 .
[98] - سيبويه،الكتاب،ج :1،ص :55 .
[99] - محمد ولددالي،المرجع نفسه،ص :413 .
[100] - عبد الرحمان الحاج صالح،الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة،ص 112 .
[101] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 77 .
[102] - ينظر:عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 77 .
[103] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،290،(بولاق) .
[104] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،309 .
[105] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 12 .
[106] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 97 .
[107] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 97 .
[108] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 82 .
[109] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص 64 .
[110] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 99 .
[111] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص :99 .
[112] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 98 .
[113] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 98 .
[114] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص،99 .
[115] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 96 .
[116] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 112.
[117] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 112 .

[*] – إنّ مصطلح القرينة لم يستعمله سيبويه ولكن هذا لا يعني أنّه لم يدرك مفهومه فقد عبّر عنه بمصطلحات أخرى مثل :(ما يرى المخاطب من الحال،ما جرى من الذّكر،علم المخاطب السّابق ...إلخ)،واستعمله فيما بعد علماء الأصول،يقول عبد الرحمان الحاج صال :" ...و سمّوا هاتين الدّلالتين بعد سيبويه بالقرينة (ج قرائن) وظهر أوّل ما ظهر عند الأصوليين وهو اصطلاح شامل لكل دلالة غير لفظيّة وسُمّيت قرائن لأنّها يقترن بها اللّفظ وتُردفه فالاقتران هو زماني .فالأولى قيل لها " قرينة حاليّة " وهي الحال والثّانية " قرينة مقاليّة " ...و استعمل العلماء كثيراً مصطلحا آخر وهو سياق الكلام للقرينة المقاليّة .ولم يعرفها سيبويه كمصطلح ومن جاء بعده مع أنّها قديمة " الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربيّة،ص 56

[118] - سيبويه،ج1،ص 137 .
[119] - سيبويه،ج1،ص 138 .
[120] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص 56 .
[121] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،33 .
[122] - عبد الرحمان الحاج صالح،المرجع نفسه،ص،57 .

[123] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص :339 .
[124] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص:103 .
[125] - سيبويه،الكتاب،ج1،ص،22.

قائمة المراجع :

1- ابن منظور،لسان العرب،ج :1،مادة (ج م ل)،ص :462 (صادر) .
2- بشير إبرير،استراتيجيّة التّبليغ في تدريس النّحو،أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في 23-24 أفريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامّة،منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّ 2001 .
3- جماعة من الباحثين،معجم علوم التّربيّة،مصطلحات البيداغوجيا والدّيداكتيك،سلسلة علوم التّربيّة،9 و10،مطبعة النّجاح الجديدة،1994 .
4- الحسن شاهر،علم الدّلالة السمانتيكيّة والبراغماتيّة في اللّغة العربيّة،دار الفكر للنّشر والتّوزيع،الأردن،ط1،1422هـ،2001 م.
5- ابن خلدون،المقدمة،مكتبة دار المدينة المنورة للنّسر والتوزيع،الدار التونسية للنّشر،،1984 .
6- دوجلاس براون،أسس تعلّم اللّغة وتعليمها،ترجمة،د.عبده الراجحي،ود.علي علي أحمد شعبان،دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر،بيروت،1994.
7- رشدي أحمد طعيمة،المهارات اللّغويّة :مستوياتها،تدريسها،صعوباتها،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،ط1،2004.
8- رشدي أحمد طعيمة،محمود كامل النّاقة،تعلم اللّغة اتّصاليّا بين المناهج والاستراتيجيات،منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة،إسيسيسكو 1427هـ،2006 م.
9- سيبويه،الكتاب،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،دار الجبل،بيروت،لبنان،ط1،دت.
10- السيرافي،شرح كتاب سيبويه،تحقيق :أحمد حسن المهدلي وعلي السيد علي،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان،ط1429،1هـ،2008.
11- عبد الرحمان الحاج صالح،الأسس العلميّة لتطوير تدريس اللّغة العربيّة،ندوة تدريس اللّغة العربيّة في الجامعات العربيّة،1984 .
12- عبد الرحمان الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة،ج 1،منشورات المجمع الجزائري للّغة العربية .
13- عبد الرحمان الحاج صالح،سلسلة علوم اللّسان عند العرب3 ،الخطاب والتخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة،منشورات المجمع الجزائري للّغة العربيّة.
14- عبد الرحمان الحاج صالح،علم تدريس اللّغات والبحث العلمي في منهجيّة الدّرس اللّغوي.
15- عليك كايسة،واقع تدريس التّعبير والتّواصل بالمدرسة الابتدائيّة (السّنة الخامسة أنموذجا)،العدد الخاص بأعمال ملتقى:الممارسات اللّغويّة :التّعليميّة والتّعلميّة،جامعة مولود معمري تيزي وزو،مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر،7-8-9 ديسمبر 2010 م.
16- فوزي عيسى،رانيا فوزي عيسى،علم الدّلالة النّظرية والتّطبيق،دار المعرفة الجامعيّة،الاسكندريّة،ط1،2008 .

17- محمد الأخضر الصبيحي،المناهج اللّغويّة الحديثة وأثرها في تدريس النّصوص بمرحلة التّعليم الثّانوي .
18- محمد العبد،النّص والخطاب والاتّصال،الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي،القاهرة،مصر،ط2005،1.
19- محمد محمد يونس علي،علم التّخاطب الإسلامي،دراسة لسانيّة لمنهاج علماء الأصول في فهم النّص،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،ط2006،1م .
20- محمد ولددالي،النحو ومقاصد الكلام بين سيبويه وابن مالك ،دراسة مقارنة لبعض أوجه استعمال الجملة الفعليّة،رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم،جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد اللّه،2014،2015 .
21- نايف خرما وعلي حجاج،اللّغات الأجنبيّة تعليمها وتعلّمها،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب،الكويت،1988.
22- نهاد الموسى،الوجهة الاجتماعيّة في كتاب سيبويه،مقال،جامعة شيراز إيران،1353 هـ .
23 - ياحي هشام،دور النّحو في بناء الملكة التّبليغيّة،السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط أنموذجا،دراسة وصفية تحليلية،مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي،تخصّص :تعليميّة اللّغة العربيّة،جامعة المدية،قسم اللّغة العربيّة،2016م/2017 م.